الأبعاد الدلالية لصورة الخطاب في مؤداه و معناه

أ.كريمة حجازي
جامعة خنشلة

الملخص :

تتأتى صورة الخطاب ضمن إشكالية التواصل الإنساني في إطار العلاقات التبادلية؛ التي تعكس واقع النشاط الاجتماعي وطبيعته، ذلك أن الخطاب وليد البيئة ومستوياتها الفنية الدلالية، المترجمة في إطار قوالب ذات طابع فني أو سياسي أو ديني وغيرها.

حيث يهدف الخطاب إلى تحقيق غايات ومقاصد تتماشى ورغبة الذات المعايشة للآخر.

فالمادة الخطابية مرآة عاكسة للطبيعة الآنوية، تنجلي بها غياهب الإبهام وتتكشف بأساليبها مقومات الهوية، في إطار فني أدبي خاضع لمقياس الآخر المستقبل لهذه العملية الإبداعية التركيبية.

Résumé:

Venez dans l'image du problème de la parole de la communication humaine dans le cadre des relations réciproques; qui reflètent la réalité de l'activité sociale et de la nature, de sorte que le discours environnement Walid et les niveaux de technique Rappelez-vous, localisée dans le cadre d'un des modèles de caractères techniques ou politiques, religieux et autres.

Lorsque le discours vise à atteindre les buts et objectifs compatibles avec le désir d'auto-cohabitation autre.

Article miroir rhétorique reflète la nature des noyaux, déplier les profondeurs du pouce et de déployer ses méthodes éléments d'identité, dans le contexte de l'art littéraire est soumise à l'autre pour mesurer l'avenir de cette création synthétique de processus.

مفهوم الخطاب الأدبي :

تتجلى صورة الاتصال في كونه عماد البنية الاجتماعية، وهو عملية تبادلية تحدث على مستوى المنظومة الاجتماعية المُتفق عليها من قبل جماعة معينة، وهذه العملية التواصلية تستند على ركيزة أساسية ألا وهي : العملية التخاطبية أو (فن الخطاب النصي)، فالخطاب جنس أدبي والى الإنسان ووازى حياته الاجتماعية منذ القدم وقد عرف التطور والتبدل من حال إلى أخرى ومن صورة إلى هيأة مُغايرة ومن غرض إلى هدف آخر.. فهذا المصطلح لا يتسم بخاصية الثبات والشمولية، فهو ذو بنية لغوية دينامكية وحركية خاضعة للمبادئ المتغيرة والأسس النسبية ولا يحمل في طياته تعريفا دقيقا واضح المعالم؛ يقول عنه رابح بوحوش: " إنَّ الخطاب جسم لغوي زئبقي يشبه السمكة في البحر، عبثا تحاول إمساكه باليد.. فهو يَنْفلتُ من كل شيء، من المنهج، ومن سُلطة الناقد، بَلْ إنه يَنْفَلت حتى من ذاته، ومن السلطة والأنظمة الجامدة "، وهذه السلاسة تخدم طابع الأفراد في المجتمع الواحد وعقلياتهم المختلفة، من البسيط إلى المثقف ومن الأميِّ إلى القارئ ومن المُؤيد إلى المُعارض.. بَل و يتعدى النص الخطابي إلى مفاهيم ومدلولات مُتغيرة بتغير طبيعة الموضوع الذي يَصُب فيه، أي أنَّ نوع الخطاب لا يتضح إلا بالغرض الذي يصُب في هذا الكلام، فلكلّ خطاب غَرضٌ خاص وتتنوع هذه الأغراض بتنوع البواعث والأسباب التي تحويها النصوص الخِطابية في مُجملها، هذه النصوص التي قد تكون خاضعة للميزان اللغوي والبلاغي غير بَعيد عنها والتي تُترجَم في (فن الخطاب) أو (النص اللغوي) أو (الكلام الأدبي المُتزن)، وقد يكون هذا الخطاب ضمن اللغة العامية للسواد

الأعظم من المجتمع كون الثقافة خاصة بطبقة علمية متفردة ، وهذا ما يندرج ضمن صورة الحكم والأمثال والقصص والحكايا التي تحمل في طياتها مضامين وأهداف وأغراض مُعينة ومختلفة المقاصد في صورة شكلية مُبسطة للسامع والمُتلقي لها.

1- الخطاب لغة:

خَطَبَ: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وقيل: هو سَبَبُ الأمر. يُقال: مَا خَطْبُك ؟ أَي ما أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. والخَطْبُ : الأَمر الذي تَقَعَ فيه المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ ومنه قولهم: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن. و في حديث عُمَر، وقد أَفْطَروا في يومٍ غَيمٍ من رمضان.

فقال: الخَطْبُ يَسيرٌ. وفي التنزيل العزيز، قال: (فما خَطْبُكُم أَيُّها المُرْسلون) وجَمعه: خُطُوبٌ، فأَما قول الأَخطل:

كَلَمْعِ أَيْدِي مَثَاكِيلٍ مُسَلَّبةٍ، يَنْدُبْنَ ضَرْسَ بَناتِ الدَّهْرِ والخُطُبِ

إِنما أَراد الخُطوبَ، فحذفَ تَخفيفاً، وقد يكونُ من باب رَهْنٍ ورُهُنٍ.

كما عرّفه صاحب القاموس المُحيط كالآتي: الخَطْبُ هو الشأنُ، والأَمْرُ صَغُرَ أو عظُمَ، ج: خُطُوبٌ. وخَطَبَ الخاطِبُ على المِنْبَرِ خَطَابَةً، بالفتحِ، وخُطْبَةً، بالضمِ، وذلك الكلامُ: خُطْبَةٌ أيضاً، أو هي الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ ونحوهُ.

ورجلٌ خطيبٌ: حَسَنُ الخُطْبَة،.

وفي مقاييس اللغة: (خَطَبَ) " الخاء والطاء والباء أصلان ": أحدهما الكلامُ بين اثنين، يُقال خاطبهُ يُخاطِبه خِطاباً، والخُطْبة من ذلك. وفي النِّكاح الطَّلَبُ أن يزوّج، قال الله تعالى : (لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساء).

والخُطْبة: الكلامُ المَخطوبُ به. ويُقال اختطبَ القومُ فلاناً، إذا دعَوْه إلى تَزوُّج صاحبتهم. والخَطبُ: الأمرُ يَقع؛ وإنَّما سُمِّي بذلك لِمَا يقع فيه من التَّخاطب والمراجعة."

ويرى الزَمخشَريُّ أنه يجوز أن يُراد بمعنى الخطاب في الآية: " القصدُ الذي ليس فيه اختصار مخلٌّ، ولا إشباع مملٌ ".

" و ترددت مادة (خ. ط. ب) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرّة موزعة على اثنتي عشرة سورة ". ويصعب إحصاء مدى تواتر هذا المصطلح في كُتُب الحديث والسيرة. و أُحيل على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للوقوف على استعمال هذا المصطلح ودلالاته الموظفة في مختلف السياقات والتي صَبَّ جُلُّها في مفهوم القصد وإبلاغ المعنى بأسلوب يتوافق والمعنى المتناول في السياق الخطابي المحمول.

2- الخطاب اصطلاحا :

إنّ كُل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نصٌ، وإذا ما خَرجَ ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سُمي خِطابًا ،فالخطابُ إذن يضطلعُ بمهمة توصيل رسالةٍ، ومن ثم فهو وسيلة أيديولوجية، هكذا تنظر " يُمْنَى العيدْ" إلى الخطاب، وانطلاقا من قولها هذا نُصدِرُ حُكما ترجيحيا لا يقينيا مُقتضَاهُ أن النص الأدبي هو خِطابٌ، ومن ثم فإنَّ " النص الأدبي في أبسط مظاهره (كلام)، ولأنه كذلك وَجدَت العلوم المهتمة بالأفراد طريقها إليه، والنص الأدبي يُبدعه فردٌ منغرس في الجماعة، ويتجه به إلى مجموع القراء، لذلك تناوله علم الاجتماع بالدرس، وهكذا إلى

آخر العلوم الإنسانية علمًا علمًا، لكل منها طريق تسلكه إلى الظاهرة الأدبية فتمتحن مناهجها عليه"، حيث ينطلق صاحب النص الخطابي من كون هذا النص الأدبي مَظهَرًا كلاميًا احتوته علوم اللسان من مُنطلق أنه سلوك لفظي يوميٌّ يتصفُ بطابع الفوضى أو الاعتدال، ويتَّسمُ بصفة التحرر ويُشكل مصدَرًا لإلقاء اللغة، " لكونه نَتاجًا فرديا صادرا عن وعي وإرادة واختيار حُرٍّ من قبل الناطق و الذي يَستخْدم أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي، مُستعينا في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية"، و لم يقتصر دور اللسانيات وحدها على الخطاب الأدبي، بل تنازعته علوم متعددة : كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة... لكون النص الأدبي ابتدعه فرد مُنغرس في الجماعة،وله عمقٌ ورؤيا تختفي وراء نَسقِه المرئي، والغرض من إبداع النص ليس التوجه به إلى مجموع القراء بالقول فحسب، بل تتعدى إلى محاولة ترسيخه ووضعه في بوتقة الإنسان المتلقي لهذا الخطاب، أو وَضْعه كمبدأ أساس يسير وفقه أفراد المنظومة الاجتماعية، أو الحلقة القومية، أو دائرة العالم بشتى أنواع اللغات المترجمة لهذا الكلام.

وبذلك تكتمل الحلقة التواصلية مُشَكّلة من مُرسِل ومتلَقي ورسالةٍ مشحونة ببلاغ، بالإضافة إلى الشفرة المتعارف عليها لفك الرموز التي يُبنى عليها الخطاب، هذه الشفرة التي تأتي – عموما- غير مبهمة و لا غامضة بل تتسم بشفرة البلاغة والسلاسة في آن واحد دون انغماس أو تعميق في المراد أو القصد، ومن جهة أخرى فإن "الخطاب لا يتم إلا بحضور شخصين فما فوق،لأن الكلام لا يتم إلا بوجود الطرف الآخر،وأن التواصل لا يتحقق إلا وسط عناصر مُتحدِّثةٍ ومُستقبِلةٍ، وقد أشار القاضي عبد الجبار : " إلى أن المخاطبة مُفاعَلة ، ولا تُستعملُ إلا بين نفسين يصح لكل واحد منهما أن يخاطَبَ ابتداءًا، ويُجيبُ صاحبه عن خطابه ". ولذلك يُمكن القول على أن الخطاب له جذور في اللسانيات،لكونه يستمد وجوده من ثنائية (اللغة والكلام) التي قال بها دوسوسير في محاضراته الشهيرة . وللخطاب كذلك جذور في الأسلوبيات،سواء من واجهتها القديمة التي تُعنى بالبلاغة إلى جانب قواعد اللغة، أو من واجهتها الحداثية التي راعت النظام الصوتي والتركيب المورفولوجي،والبناء الدلالي. فقدماء النقد العربي يربطون مفهوم الخطاب بالبلاغة، وهذا ما أشار إليه الجاحظ في قوله : "و لم يُذكروا بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة ". ويرتبط الخطاب بالخطابة في النصوص التراثية العربية فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن، فهي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية التي أشار إليها الجاحظ في القول السابق الذكر، وقد أشار أرسطو طاليس إلى هذه النقطة من قبل في قوله : إنها الكلام (أي الخطابة) المقنع، وهي نوع من القياس.

وإن كان الغرض من البلاغة يكاد يكون متشابها في الثقافتين العربية والإغريقية، فهو في البلاغة العربية عرض الأفكار بأسلوب مُقنع، ويتفق مع ما ذهب إليه أرسطو: "أنها الكلام المُقنع". ولا يتم التصديق في الخطابة إلا بموافقة المقال للمقام، وهو المبدأ الأساسي الذي ركّز عليه بَشْرُ بن المُعتَمر في رسالته البلاغية ؛ أي : " أن يُراعى المتكلم في حال تأديته الخِطاب؛ هل هو في خشوع أو لطفٍ أو وَجْدٍ أو غير ذلك، ثم طريق استدراج السامعين، ولا يتم هذا إلا بالأقاويل الخُلقية والانفعالية التي تتعلق بطبائع الناس، ومَصالحهم وعاداتهم وتأثيرهم" فالخطاب وسيلة الهدف وغاية الغاية وأداة المراد، ولا تتأتى إلا وفق شروط تنطبق والواقع المنسوجة فيه والمحيط المنبثقة في حدوده.

والخطاب الأدبي هو ذلك الخطاب الذي يتناول قضايا في مجالات الأدب وتفاعلاته المعرفية، إن على مستوى البناء (الشكل) أو على مستوى المعاني. وبتعدد أغراض الأدب وحقول الدراسة فيه، تعدد أوجه الخطاب الأدبي من خطاب في البلاغة وخطاب في النقد وخطاب في الأسلوبية وخطاب في السيميائية وخطاب في اللغة إلى خطاب في الأمثال والحكم وما يُشاكلهما، والمعارف التي يتضمنها كل من المثل والحكمة وفي ذلك مجالات عديدة ومتعددة للدراسة، كالمثل المتعلق بالسياسة والمثل المتعلق بالأخلاق والمثل المتعلق بالنواحي الاجتماعية والمثل الذي يدرس قضايا اقتصادية ...الخ

كُل هذه الخطابات بما فيها الخطاب الشعري أيضا، تذهب بالمصطلح الأدبي في فحواه ومعناه إلى مدارك الإنسان والتعريف بمجاهيل الحياة وأضْرُبُ السلوكات الاجتماعية، وكل ذلك يدخل في إطار المُتعة الأدبية الشيقة والهادفة، والتي تحتفظ دوما بعنصر التشويق الذي هو رمز من رموز النص الأدبي في كل الأجناس الأدبية.

الخطاب الديني:

يهدف الخطاب إلى ترسيخ مجموع القيم والمبادئ بشتى اختلافاتها المفاهيمية ومضامينها القصدية، والتي تُعنى بها دائرة اجتماعية خاصة، ولعل من بين هذه القيم المتحكمة في مضامين الخطابات تلك التي تندرج تحت لواء العقيدة والسلوك الأخلاقي الرفيع، وهذا ما يُترجمه مصطلح الخطاب الديني، بكونه حسب المنظار الفكري؛ تلك الواجهة التي يُنظر من خلالها إلى الدين حسب مفاهيمه المختلفة أو بصورة أدق حسب مفهومنا للدين؛" فكلٌ يُعاير الخطاب الديني في معيارِ ما يعتبره حقًا، ويُصنفه حسب اعتقاده لحدود ساحة المقّدس، ويقيِّمه حسب إدراكه لأحكام المُقدَّس".

فالخطاب الإسلامي يستمد مفهومه من كتاب الله تعالى كون كتاب الله منهجٌ في حد ذاته" متبوع بالسنة النبوية الشريفة وما تتضمنه من أقوال وأفعال، يقول تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)، فهذا الخطاب يَكْمنُ في إطار البيان الهادف والمعرفة المُحكَمَة، بعيدا عن الجهل وجذوره المتفرعة كالتعنُّتِ والغلو والسذاجة والاستدراج إلى الخطأ والتكفير وما إلى غير ذلك من السُدود التي تَحُول بين الإنسان و دينه، ولعلَّ الخطاب الديني هو الوسيلة الأمثل التي تعمل كرباط بين الشارع الحكيم و المُتلقي لهذه الشرائع والأحكام، فهو وُصلة وُجب فيها الاتسام بالإعذار عن الآراء والأهداف بعيدا عن التمذهب والتحزب لأي طائفة دينية أو مرجعية عقائدية ليس على مستوى الدين الإسلامي فحسب بل على مستوى كل الديانات المختلفة، ويعتمد الخطاب الديني على ميزة الحكمة والموعظة الحسنة.

يقول الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) .

قال العلامة الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)؛ " فإن كانت دعوته إلى الله بقسوةٍ وعُنف وخَرْق، فإنها تَضُرُّ أكثر مما تنفع، فلا ينبغي أن يُسنَدَ الأمرُ بالمعروف إسناداً مُطلقاً، إلا لمن جَمعَ بين العِلمِ والحكمة والصَّبر على أذى الناس، لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرُسُل، وأتباعِهمْ وهو مُستلزَم للأذى من الناس، لأنهم مَجْبولونَ بالطبع على مُعاداةِ من يتعرضُ لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة".

فالخطاب الديني يدعو إلى ترسيخ قيم الأخلاق النبيلة والعادات الرفيعة و السلوكات الحسنة قولا وفعلا، والخطيب هنا ناهيك عن الشارع الحكيم يُشترط فيه قوة الفصاحة والقول للمُتلقي لخطابه، كما يُشترط فيه الأمانة والمصداقية والأهم من هذا وذاك؛ إبلاغ الغاية وإرساء الهدف للمستقبِل لهذه المادة المُلقاة على أسماع العامة من الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّما بُعثتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق"، فهذا دليلٌ من رسولنا الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلم على أن الأخلاق لا ترتبط بالدرجة الأولى بالدين والذي لا يتحكم بكيانها ، بل ترجع إلى كونها رُكنا من أركان المنظومة الاجتماعية التي تنبني على قاعدتين محوريتين وهما (الخير والشر)، يقول صاحب الظلال في تفسيره لمصطلح (ويُزكِّيهم): " وإنّها لتزكية وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول صلى الله عليه وسلم، تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية، وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد؛ ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح. وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخُلق الإيماني، ومن دنس الربا والسُّحت إلى طهارة الكسب الحلال. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع". فهذا التطهير لم يأتِ إلا بحضور خطاب حامل له، وكلام مُبيِّن له، ونص شارح لما يحويه من تطهير، وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على مكانة الخطاب في بث الدعوة الإسلامية والاعتماد المباشر عليه لتصفية العقول من الفكر الجاهلي وشحن الهمم بروح الدين الجديد، وغرس قيم الإسلام المجيدة في نفوس العرب في البدء ثم لكافة الناس جميعا.

وهكذا فالخطاب الديني خطاب بنّاءٌ يرسخ مكارم الأخلاق ويدعو إلى الفضيلة والتوازن في المجتمع، ويدعو إلى ثقافة المحبة والتسامح والمودة والإخاء، ويحث على العمل والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد، ويدعوا إلى التحلي بروح الحياة وثقافة التعايش، بعيدا عن سياسة الاقتتال والموت يقول الله تعالى في كتابه: (لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ لم يُقاتِلوكُم في الدِين ولَم يُخرجُوكُم من دِيَاركُم أن تبَرّوهُم وتُقسِطوا إليهِم إنَّ الله يُحبُ المُقسِطِين).

فالله تعالى يدعو من خلال الآية الكريمة إلى التعامل بالقسط والإحسان لإرساء وحدة أبناء المجتمع داخل إطار التفاعل الإنساني النبيل، وهو مطلب قرآني بالدرجة الأولى مهما تباينت الانتماءات الدينية والمذهبية والطائفية بين أفراد المجتمع الواحد.

والخطاب الديني يدعو إلى التحضر والرُقيِّ بالإبداع الفكري في شتى المجالات مستعينا في ذلك على سلك درب الحكمة والموعظة الحسنة في نشر القيم والأهداف السامية، وإرساء مبدأ التعايش مع الديانات الأخرى بكل سماحة ومُسالمة، هذا هو الخطاب الديني الحق البعيد عن الزور والبطلان بل المحارب للفكر الخاطئ والمعتقد الكاذب المؤدي للانحراف و تبعية الشيطان كما هو حاصل اليوم في بعض بواطن العالم العربي خاصة والإسلامي عامة، بعد أن ساد في بعض العقول أفكار الاندفاع و الجهاد الخاسر المُترجم في جرائم لا تمت للإسلام بأي صلة، وأحسن القول في هذا السياق ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا".

والخطاب الديني يتفرع كغيره من الخطابات إلى المسائل الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...الخ ويُعالجها وفق منطق الدين وإملاءات الضمير الحي الذي يفتح مجالات الاطمئنان النفسي والعقلي في صروف المجتمع وظروفه.

كما أن للخطاب الديني مقاصد وغايات وفق التركيبة المنهجية التي تقتضيها الكتابة العلمية في خصوص الخطاب الديني.

الخطاب السياسي :

يعيش الإنسان وفق منظومة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد تحكمها ضوابط وقوانين تسنّها سلطة تلك المنظومة حسب تفكيرها الديني و الجيوسياسي ، فقد تشكلت سلطة الدولة كنتيجة للعمليات التنظيمية التي كانت الجماعات البشرية في حاجة إليها كلما ازدادت كثافتها السكانية، وكلما ازداد تعقيدها بسبب التقسيم الاجتماعي للعمل و كل جماعة بشرية مهما كان مستوى تطورها تتوفر على نُظم للضبط تكون في البداية محاذية لكينونتها وغير متميزة عن المجتمع الكلي.

إنّ رئيسَ القبيلة أو شيخها في المجتمعات البدائية لا يوجد بينه وبين من يخضعون لسلطته فرقٌ كبير، فهو يوجد على مسافة قريبة منهم. ومع تفكك النظام القبلي، وازدياد عدد السكان ظهر الميل إلى تمركز السلطة في إطار تنظيمي مُتميزٍ عن المجتمع الكلي. ومع ظهور الدولة، اتسع مفهوم السياسة ليشمل إلى جانب التمثلات الجمعية مثال الدولة وموظفيها، ونُظم الحكم كالنظام الملكي، و الثيوقراطي والأرستقراطي، والديمقراطي، وكذا الفئات التي تُدعِّم نظام الحكم القائم والفئات التي تعارضه".

وتشكلت أنظمة جديدة تترافق مع مسيرة الإنسان في تطلعاته للحرية وتحقيق الذات عن طريق البُعد الجماعي للوطن أو للأمة أو للإنسانية.. وقد أشار الشارع الحكيم إلى السياسة و علاقة الحاكم بالمحكوم سواء كانت علاقة بسيطة (داخلية) أو علاقة واسعة المجال (عامة)، فتوجد آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تتناول الجانب السياسي وتشرح معالمه العامة بما يحقق مصالح الأفراد والجماعات لأن ذلك من المطالب الشرعية التي رغّب فيها وحققها الدين الحنيف، يقول الله تعالى في كتابه : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ). فالخيرية لا تتحقق إلا في مجتمع يتّبع قواعد الدين وضوابطه، بما يجلب المصالح ويُكمِّلها ويدفع المفاسد وأضرارها. فالشريعة الإسلامية كاملة شاملة لجميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك..يقول تعالى في محكم كتابه: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، فالبلاغ هنا هو التنبيه والتوجيه والإرشاد، أي بمعنى آخر هو خطاب سياسي إرشادي هادف وذو غاية مفادها التوعية والإعلام بأهمية طاعة الله الحاكم فوق كُلِّ حاكم، و العاطي فوق كل ذي عطاء.

ففي التعريف اللغوي للسياسة :

سَاس الأَمرَ سِياسةً: قام به، ورجل ساسٌ من قومٍ ساسة وسُوَّاس؛ وسَوَّسَه القومُ: جَعَلوه يَسُوسُهُم. ويقال: سُوِّسَ فلانٌ أَمرَ بني فلان أَي كُلِّف سِياستهم.

يقول الجوهري: " سُسْتُ الرعية سِياسَة. وسُوِّسَ الرجلُ أُمور الناس، على ما لم يُسَمَّ فاعله، إذا مَلِّكَ أَمرَهم.
ويُروى قول الحطيئة : لقد سُوِّسْت أَمرَ بَنيك، حتى تركتهُم أَدقَّ من الطَّحِين. وقال الفراء: سُوِّسْت خطأٌ. وفلان مُجَرَّبٌ قد ساسَ و سِيسَ عليه أَي أَمَرَ وأُمِرَ عليه. وفي الحديث: كان بنو إِسرائيل يَسُوسُهم أَنبياؤهم أَي تتولى أُمورَهم كما يفعل الأُمَراء والوُلاة بالرَّعِيَّة. و السِّياسةُ: القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه.
والسياسةُ : فعل السائس. يُقال: هو يَسُوسُ الدوابَّ إذا قام عليها وراضَها، والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَه ".
ويُضيفُ الفيروز آبادي: " وَسُست الرعية سياسةً؛ أمرتها ونهيتها ".
فالسياسة تُعبِّر عن عملية صُنع قرارات مُلزَمَة لكل المُجتمع، تتناول قيمه المادية والمعنوية، وترمزُ لمطالبَ وضغوطٍ متنوعة، وتتم هذه السياسة عن طريق تحقيق أهدافٍ ضمنَ خُطط أفرادٍ وجماعات ومؤسساتٍ ونُخبٍ حسبَ إيدولوجية مُعينة على مستوى محلي أو إقليمي أو دولي.
والسياسة هي علاقة بين "حاكم ومحكوم"، وهي تشمل السلطة الأعلى والأدنى في المجتمعات الإنسانية، حيث أن السلطة السياسية تعني القدرة على جعل المحكوم يعمل أو لا يعمل أشياء سواءَ أرادَ أو لم يُردْ.
والعلاقة التواصلية بين الأعلى والأسفل في الهرم السُلطوي يربطها مبدأ الخطاب المُوجَّه من كلا الطرفين لأحدهما الآخر، وهذا الخطاب يحمل في طياته مجموع معارفَ إيديولوجيةٍ مُختلفة المضامين، فالخطاب السياسي كما عرفه د. مازن الوعر: " هو تركيب من الجمل مُوجه عن قصْدٍ إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة ويتضمن هذا المضمون أفكارًا سياسيةً، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيًّا."
ويهدف السياسي من خطابه إلى تغيير النفوس وحسها والعقول وفكرها والواقع ومضامينه مما يجعله يتصف بصفات وسمات معينة تُعينه في هذه العملية الصعبة المِراس في جانبها التطبيقي، إنْ على المستوى الصوتي للخطاب بحيث هناك صلة واضحة بين المستوى الصوتي وما يرمز إليه القائل (السياسي)، فهناك مستوى للتعبير عن حالة الغضب أو الفرح ، و الانزعاج أو القوة والضعف و كذلك مُدود الكلمات وقصرها وارتفاع الصوت وانخفاضه وهكذا.. " و إن على المستوى الدلالي وهو الاهتمام بالأفكار والموضوعات والمفردات والمضامين التي تحقق المعنى والتميز الخطابي للمتحدث ". في مختلف " هياكل" الدولة على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو الإداري و القانوني وما إلى غير ذلك من المؤسسات والهياكل التي تُسيِّر شؤون الرَّعيةِ وبذلك توزع هذا الخطاب السياسي على كل تلك الأنشطة وفق نظامٍ خاصٍ مُتفق عليه ومعمول به من طرف أفراد هذه الدولة.. وكُلها تصُبُّ في وعاء "الخطاب السياسي"، ذاك الذي يحمل في هيكلته الشكلية طابع اللغوية النصية أو الكلامية، أما في ماهيته البنيوية فهو يقوم على مبدأ التفاعل الذي تتبدى من خلاله الحدود التي تفصل والروابط التي تجمع بين أفراد المجتمع، "فيفصل الأنا عن الآخر ويجمعها ومن يحالفها أو يشبهها أو ينتمي إليها،وتتبدى من خلاله كذلك المكانة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدوار التي يؤديها كل طرف حسب الرغبة والتفاعل مع المحيط السياسي الذي يضبط حركة الأفراد والجماعات فيه.
وقد عبّر الخطاب السياسي عن كل هذه الأنشطة ؛ خطاب الحاكم وخطاب المحكوم، فخطاب الحاكم هو ذلك الخطاب الموجّه الذي يرعى المصالح العامة ويوجه حياة الناس وفق أنماط و سلوكات المجتمع، وما يتطلبه الأمر في

كل مجال من المجالات، وخطاب الرعية وهو الخطاب الذي يحمل المطالب والتوجيهات والإرشاد للحاكم ولدوائره السياسية.

وهذا الخطاب ينبثق عن المفكرين والسياسيين ورجال الدين والعلم وأهل الحل والعقد. وهذه الخطابات تشتمل على نوع من التفاوض والتداول؛ " تداول الواقع ومراجعة فرضياته المهمّة، ومحاولة فرض ما نفترض أو نُسلِّم به نحن على الآخرين."

ويشتمل الخطاب السياسي على توقُّع ما يُفكِّرُ فيه الآخر والتنبؤ بما يدبِّر له المنافس وكذا ما يؤمن به "الخصوم"، ومن ثمَّ تأكيده أو تفنيده أو إضعافه أو تشويهه على حسب الحكم السياسي الواقع عليه. ويتحقق قدرٌ كبير من التفاعل في الخطاب السياسي على مستوى الأفراد سواء بالسلب أو الإيجاب بفضل قدرة اللّغة الخطابية على الدلالة والمساس بالجوانب الروحانية والعقلانية لمختلف طبقات الشعب من عامته أو خاصته (الطبقة المثقفة)، وقدرتها على التعبير عن الواقع المُعاش، واستخلاص مضامين و متطلبات المحكوم على الحاكم، فيتحقق قدرٌ كبيرٌ من التفاعل في الخطاب السياسي بفضل ثراءِ تعابير اليقين والشكّ و تعابير الضرورة والالتزام (الأخلاقي والديني والاجتماعي..) و تعابير "افعل" و" لا تفعل" و" يجب'' و'' ينبغي'' و'' لا بُدَّ'' و ''علينا .''

ولمفهوم الأدوار أهمية خاصة في لغة الخطاب السياسي ومفرداتها، والمقصود هنا هو ما يؤدي المشاركون في الخطاب من وظائف وأدوار اجتماعية أو سياسية أو عسكرية، سواء كانت هذه الأدوار حقيقية أو مُفترضَة أو مَرجوَّة الحدوث أو مسلوبة من الآخرين، والعلاقات التي تربط بين من يؤدون هذه الوظائف ويلعبون هذه الأدوار ومن بين هذه المصطلحات نجد على سبيل الذكر لا الحصر :"الحاكم" و" المحكوم" و" الراعي" و" الرعية " و" الرئيس" و" الشعب" و" الحكومة"و" المعارضة" و"الجمهوريون" و" الديمقراطيون" و" العمّال" و" الفئات وأصحاب والنفوذ " و" أعضاء مجلس الأمة" و" الوزراء" وهكذا... أي أن الخطاب السياسي هو ذو لغة متجددة وتفاعلية تتغير بتغير أنماط الحكم المُستحدثة بفعل الواقع والزمن ومُتطلبات العالم، ناهيك على أن هذا الخطاب يحوي في جعبته كَمًّا هائلا من البيان والبديع قصد استثارة النفوس والوصول إلى رضاء المُستمع أو الناخب لهذا المُتكلم والعازم على الأخذ بالحُكم في حد ذاته، والواصف لبعض العناصر السياسية كقوله : فلان رأس حربة وآخر بأنه صقر الدفاع الجوي، وقد يعتمد على مبدأ الرياضيات أو علم الإحصاء وكل المعارف التي تصب في تكوين هذا الخطاب معنويا..

وتتجاوز الإشارة السياسية تحديد المكان إلى تحديد المكانة والدور والعلاقة بين المشاركين في الخطاب، من مجرد الإشارة إلى من أنا ومن أنت ومتى، إلى تأسيس علاقة بين "أنا" وكل ما هو حسن وخيِّر، وبين "عدويّ" أو "منافسي" وكل ما هو قبيح وشرّ، وتحقيق التلاحم بين مُنتج الخطاب ومن يسعى إلى إرضائهم من ناخبين أو جماهير أو لجان أو هيئات. هكذا تبقى الإشارة بمعناها الرحب سلاحاً مؤثراً في جدل الهويات والانتماءات، ودرعاً يدفع وسيفا يقتل، ويداً تضمُّ "ذوي القربى" من السياسة وأخرى تحجب من لا قرابة لهم في الحيز السياسي المنتمي إلى صاحب الخطاب.

وخلاصة القول فإن الخطاب بفروعه المتعددة يمتلك بعدا معرفيا يتمثل في الرسالة التي يحملها كل خطاب على حدًا، وللقارئ المتلقي صفة الحكم على هذا الخطاب بالسلب أو الإيجاب، وأحقية الاختيار والأخذ من كل خطاب على حسب الحاجة والمتطلب، لكون الخطاب الأدبي أو الديني أو السياسي هو عبارة عن رسالة معرفية توجيهية تقرأ الواقع و تستقرىء التاريخ وتحدد معالم المستقبل.

فالخطاب يحمل إبداع الشكل ومفاهيم المعاني اللائقة بمقام الموضوعات المطروحة للبحث والدراسة و واستكناه المعرفة. وهذا جوهر الخطاب و إنْ تعددت مجالاته وأضربه فهو يصب في التعبير والدلالة والأسلوب والمعنى.

قائمة المصادر والمراجع

1) د- رابح بوحوش – الشعريات والخطاب – الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب يومي 11-13 مارس – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الجزائر.

2) ابن منظور – لسان العرب – أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط- ج 2- دار لسان العرب – بيروت 1988.

3) الفيروز أبادي – القاموس المحيط – تح الشيخ نصر الهوريني – مؤسسة دار الجيل – بيروت – ط1- 1985- ج1- مادة (خَطَبَ).

4) ابن فارس – معجم مقاييس اللغة – تح عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- سوريا – ط1- مجلد 2.

5) الزمخشري – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تح محمد مرسي عامر – دار المصحف – القاهرة – ج5.

6) عبد القادر شرشار- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص- منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق – 2006.

7) د- حسين واد – في مناهج الدراسات الأدبية – دار سراس للنشر- تونس- 1985.

8) د- رابح بوحوش- الأسلوبيات وتحليل الخطاب – مخبر جامعة عنابة 2006- الجزائر.

9) أحمد يوسف- سيميائيات التواصل وفعاليات الحوار – مخبر السيميائيات – كلية الآداب- جامعة وهران- 2004- الجزائر.

10) الجاحظ – البيان والتبيين – تح عبد السلام محمد هارون – دار المعارف – ط 3- ج 3.

11) أرسطو طاليس- الخطابة- تر عبد الرحمن بدوي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – 1983.

12) جعفر آل ياسين– المنطق السينوي – عرض وتحليل للنظرية المنطقية عند ابن سينا – منشورات الآفاق الجديدة – بيروت ط1- 1983.

13) المهندس عدنان الرفاعي – إضاءات حول الخطاب الديني- مركز الذكر للدراسات الإسلامية.

14) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان – تح محمد ساداتي الشنقيطي – دار الفضيلة – السعودية – تفسير سورة النحل.

15) سيد قطب – في ظلال القرآن – دار الشروق- القاهرة – المجلد 6 – ج 28.

16)أبو العلا محمد عبد الرحمن الحافظ– تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي– ط1- دار الكتب العلمية – بيروت –ج1.
17)أحمد أغبال – مفهوم الدولة عند دوركايم – تر من نص إميل دوركايم – دروس في السوسيولوجيا – العادات والحقوق – مكتبة الفلسفة.
18)ابن منظور- لسان العرب المحيط- تح يوسف خياط- ط1- دار الجيل – بيروت – مجلد3- مادة (ساس).
19)الفيروز أبادي – القاموس المحيط – تح الشيخ نصر الهوريني – مؤسسة دار الجيل – بيروت – ط1 – 1985- مادة (ساس).
20)د- بهاء محمد مزيد – خصائص الخطاب السياسي – مجلة آفاق العلم – 7 أغسطس 2011.
21)أمجد أبو العلاء – الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب – مجلة يقظة فكر – القاهرة – أغسطس 2010.